

علم الجمال ...د. محمد عودة سبتي .. جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة / قسم التربية الفنية
المرحلة الثانية المحاضرة الرابعة نظرية ارسطو الجمالية

نظرية ارسطو الجمالية

١ - الفن والمحاكاة.

ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن أرسطو قد عرف الفن بأنه محاكاة للطبيعة , وهذا القول هو أبعد ما يكون عن الصواب , لأن ما يؤكد أرسطو هو عكس ذلك : إذ إن الفن عنده إما أن يكون أسمى من الطبيعة , أو أن يكون أدنى منها.

أما أن يكون في مستواها فهذا ما لا يراه أرسطو أبداً.

وقد ذهب أرسطو إلى أن الفن ليس نسخاً عن الطبيعة , كما أنه ليس مجرد صورة طبق الاصل من الجمال الطبيعي , بل هو محاكاة منقحة (بكسر القاف) تقوم على تبديل الواقع , وتعديل الطبيعة , وتنقيح الحياة . ولكن من يؤكد أن (العل الفنى) لا يمكن أن يكون هو الواقع عينه , أو الطبيعة نفسها , أو الحياة ذاتها.

ولقد حدد أرسطو المصطلح , فبعد أن انت المحاكاة عند افلاطون واسعا يشمل كل أنواع الابداع , فقد قصر ارسطو فكرة المحاكاة على الفنون الجميلة باسم فنون المحاكاة تميزا لها عن باقى الفنون الاخرى .

وقد استخدم أرسطو مصطلح (المحاكاة) , ليحدد به الفنون الجميلة , ويميز بينها وبين سائر الفنون الصناعية الاخرى , ولذلك فقد تحدث عن فنون المحاكاة التى غايتها تحقيق اللذة الفنية وإنتاج الاعمال الجميلة فى مقابل الفنون الصناعية التى تحقق المنتجات المفيدة .

وتتحقق المحاكاة من ثلاث نواح:

(الوسيلة , الموضوع , الطريقة).

٢- الوسيلة :هى الاداة التى يستعملها الفنان ,إنها بمعنى أدق الوسيط مثل اللغة عند الشاعر والرخام عند النحات , ولكن بعد أن بث فيها الفنان الايقاع والانتظار لتصبح وسيطا جماليا , ويقول أرسطو إن الفنان يتمكن من هذا عن طريق المعرفة النظرية أو بالممارسة الطويلة مما يمكنه من تجسيد أشال الموضوعات التى يحاكيها .

٣- الموضوع : يقول أرسطو إنه لما كانت المحاكاة تجسيدا لاعمال الناس فإنه يجب عليها أن تقدم الناس أما أفضل مما هم عليه أو أسوأ مما هم عليه , أو كما هم عليه.

٣- الطريقة : ويقصد بها أرسطو النوع الادبى أو الفنى . فاللغة يستخدمها الشاعر والنثر , ثم الطريقة التى يستخدم بها الفنان الشعر قد تجعله قصصيا , وقد يستخدمه بطريقة الحوار فيجعلها دراميا .

وهكذا اهتم أرسطو بأن يتناول الخصائص العامة لطريقة التعبير بوصفها المميز للتوع الادبى أو الفنى .

وهكذا توشك نظرية أرسطو أن تكون ردا مباشرا على رأى أفلاطون , فالفن , وفقا لرأى أرسطو , هو حاكاة ولكنة ليس محاكاة لشئ , بل محاكاة لفعل , والفن يتجة إلى الانفعالات فيثيرها لا يجعلها ذات طابع مرضى , بل ليعيد إلى الحياة الاتزان . فهو على صلة وثيقة بالحياة , من ناحية المنبع والمصب.

وكما يكون الشعر محاكاة تكون كذلك الموسيقى , فلقد اتفق أرسطو مع استاذة أفلاطون على أن الموسيقى فن قلد صيغ على أنموذج الانسجام الكونى .

كذلك نظر أرسطو إلى الموسيقى , كما نظر إليها اليونانيون عامة , على إنها أكثر الفنون تقليدا للشخصية وتمثيلا لها , إذ إنها صورة مباشرة للشخصية أو نسخة منها.

علم الجمال ...د. محمد عودة سبتي .. جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة / قسم التربية الفنية المرحلة الثانية المحاضرة الرابعة نظرية أرسطو الجمالية

وقد أكد أرسطو منذ البداية أن أولئك الذين يحكمون على الموسيقى ينبغى أولاً أن يكونوا عازفين أو مغنيين ،لهم حظ غير قليل من الدراية.

أما المحاكاة فى الفنون التشكيلية فلا تصل فى قدرتها على التعبير عن أحوال النفس الانسانية إلى ما يمكن للموسيقى وللشعر أن يصلا إليه ، وإن كانت بما تظهره من تناسب يلائم النفس الانسانية قدرة على التعبير عن اتران النفس وتناسبها الباطنى . ولم توسع أرسطو فى الحديث عن النحت ، وإغفال أرسطو الحديث عن العمارة يدعو إلى التساؤل؟ ولكن يبدو أن فن العمارة قد ظل فى رأى أرسطو أقرب الى الفنون النافعة منه الى فنون المحاكاة ، فإن كانت فيه محاكاة فهى ليست محاكاة الحياة الانسانية.

أما عن فن الشعر ، وهو الفن الذى كرس له أرسطو ل جهوده فقد عده نوعا من المحاكاة ، غير أنه لم يهمل تأكيد الوزن والايقاع إذ عرف الشعر التراجيدى بأنه لغة مزينة مجملة .
ولقد أهتم أرسطو بالبحث فى أصل نشاء الشعر عند الانسان ، فأرجعه إلى سببين طبيعيين ، وهما:
أولاً:النزعة إلى المحاكاة التى بها يتميز الانسان عن سائر الحيوان ويكسب معارف الاولى.
ثانياً : اللذة التى يشعر بها الانسان فى تأمل أعمال المحاكاة.

٣- التراجيديا بين التطهير والمحاكاة.

الفكرة الرئيسية الثانية فى نظرية أرسطو فى الفن هى فكرة المشهورة فى التطهير . catharsis

أن التراجيديا هى عمل درامى (مسرحى) وهى تتألف من ستة عناصر،العقدة والشخصية والفكرة واللغة والغناء والمنظر. أما أهمها فهى (العقدة plot)لأنها تمثل العنصر الرئيسى فى المسرحية ،لأنها تصوير لفعل يجرى وتترابط الاحداث حوله.

وفى حديثه عن العقدة يقول أرسطو إن (لها بداية ووسطا ونهاية) ،وهذا لا يعنى بالطبع مجرد كون المسرحية تبدأ فى نقطة زمنية معينة وتنتهى فى وقت لاحق .

بل إن أرسطو يقول إن حوادث المسرحية يرتبط بعضها ببعض ارتباطا ضروريا .

فهى لا تتعاقب بطريقة عشوائية ، وإنما يؤدى أحدهما سببيا إلى إحداث الآخر , ثم إلى إحداث غير ، وأخيرا تؤدى الحوادث كلها معا إلى إحداث الذروة أو الخاتمة.

وإذا كان أرسطو قد عرف التراجيديا بأنها (محاكاة) فإنه لا يعنى (بالمحاكاة) ما تقصده نظرية (المحاكاة البسيطة) التى تقلد الواقع تقليدا حرفيا ، بل إنه يرفض المحاكاه الحرفية ويفندها فى الفقرة المشهورة التى يضع فيها الشعر فى مقابل التاريخ .

أن ارسطو يعترف بأن المؤلف التراجيدى لا يحاكي الواقع كما هو ، وإنما هو ينتقى من المادة الخام غير المترابطة (للحياة الواقعية) ما يخدم غرضه المتمثل فى محاولة تفسير التجربة الإنسانية وإضفاء معنى عليها.

والحق أن التراجيديا تكشف عما هو كلى فى التجربة البشرية ،من حيث إننا جميعا نعانى نوعا من (الخطأ) أو (الضعف) يؤدى إلى تعاستنا، وفى هذا الصدد تكون الشخصية التراجيدية (إنسانا مثلنا) ،ولهذا نتعاطف معه ، وننفعل وتمتلئ نفوسنا

بالشفقة والخوف ، فيحدث ما يطلق عليه أرسطو اسم (التطهير)، ولا شك فى أنها لفظه تداولت فى المصطلح الطبى والمصطلح الدينى قبل أن تتخذ مكانتها فى المصطلح الفنى.

علم الجمال ...د. محمد عودة سبتي .. جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة / قسم التربية الفنية المرحلة الثانية المحاضرة الرابعة نظرية أرسطو الجمالية

فالتطهير في الطب :يعنى عملية تطعيم بنفس المادة أو المزاج الذى يسبب ألما في الجسم لتحقيق مناعة معينة ، وبهذا المعنى يمكن أن يكون التطهير الناتج عن مشاهدة التراجيديا هو إحداث عملية توازن نفسى عن طريق انفعالى الشفقة والخوف، فتطلق الزائد منها أو توقظ الساكن منه. التطهير الدينى :فقد كان واضحا في طقوس الديانة اليونانية ،وقد ذكر أرسطو هذا النوع الناتج عن التطهير بواسطة الموسيقى الدينية في كتابة (السياسة.)

وهكذا يتضح لنا أن الفن _سواء أكان شعرا أم موسيقى أو غيرهما_ يمكنه أن يساعد في تخليص النفس من المتاعب والهموم والانفعالات ، ومثلما يؤدي الشرب إلى خلاص الجسم من العطش ، ذلك لان الانفعالات لو تركت لتتراكم في النفس ، فإنها تغدو أشبه بالسموم التى ينبغى التخلص منها.

وعن طريق هذه التجربة المحاكية تتخفف النفس من انفعالاتها الاصلية. بهذه النظرية في الفن خطأ أرسطو خطوة جبارة نحو إيضاح طبيعة الفن الجميل. فعلى أن لا نطلب من الفن أن يكون (ترديدا حرفيا) للمجرى المألوف للتجربة ، إذ ليس هذا ما يحاول الفن أن يفعله ، وعلى حين أن نظرية (المحاكاة البسيطة) تجعل الفن تافها ، فإن أرسطو يكشف لنا عن أهميته وعمقه.

وعلى الرغم من أن التراجيديا تحاول إيضاح (الحياة الواقعية)، فإن لها حياة مستقلة خاصة بها . لقد كان لفلسفة أرسطو في الفن تأثيرا عظيما في العالم الاوروبي، فتأثر النقاد بكتابه (فن الشعر) ، وخاصة في القرنين ١٧، ١٨ ، وعنه أخذ الكلاسيكيون المعايير العقلية للنقد الفنى ، وطبق كتاب المسرح الكلاسيكي ضرورة الالتزام بوحدة الحدث ووحدة المكان ووحدة الزمان، العمل الفني يجب ألا يتجاوز في الحكم قدرا معينا من الافراد وتسلسلا واضحا بين الاحداث وتألفا وانسجاما بين العناصر، ومن هنا لم يكن النحت أو الموسيقى أقل التزاما من المسرح بالمقاييس الجمالية التى وضعها أرسطو للجمال، بل أن العمارة الكلاسيكية نفسها التزمت بمثل هذه القواعد.